مجلة عصور الجديدة- فصلية صنف ج- المجلد 10 - العدد 2 (جوان) 1441هـ/2020م
ردمد 2170-1636 ISSN 2600-6324 EISSN الإيداع القانوني: 2014- 1156 Depot Légal

أماكن الذاكرة بالمغرب: مراكز الاعتقال التعسفي بجهة درعة- تافيلالت نموذجاً

Memory Locations in Morocco: the arbitrary detention centers in Daraa-Tafilalet region as a model

اسم ولقب المؤلف المرسل: عبد المجيد الهلالي- Hilali Abdelmadjid صص359- 372
الدرجة والعنوان المهني: دكتوراه في التاريخ الراهن- جامعة محمد الخامس- الرباط- المملكة المغربية.
البريد الإلكتروني: hamidhilali2002@hotmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2019/12/15 تاريخ المراجعة: 2020/04/01 تاريخ القبول: 2020/04/15

الملخص بالعربية: إن الحديث عن مغرب ما بعد الاستقلال حديث عن الصراعات والمواجهات السياسية والاجتماعية التي ميزت العقود الثلاثة التي تلت الاستقلال، فيما أصبح يعرف بعدها بسنوات الجمر والرصاص، وهذا ما يجرنا إلى الحديث عن أماكن الذاكرة التي نشأت بتزامن مع ما ميز تلك الفترة من احتقان اجتماعي وسياسي.

يهدف المقال المعنون بـ"**أماكن الذاكرة بالمغرب، مراكز الاعتقال التعسفي بجهة درعة تافيلالت نموذجاً**"، إلى إبراز العلاقة التي تربط الذاكرة الجماعية بالأمكنة التي تتخذ في بعض الأحيان أبعادا رمزية تتجاوز بكثير ما هو مادي فيزيائي، وبخاصة حينما يجر المكان معه حمولة تاريخية مأساوية؛ كالتي خلفتها مراكز الاعتقال التعسفي خلال سنوات الرصاص التي عاشها المغرب بعد الاستقلال (1961-1999)، ومعلوم أن هذه المراكز أصبحت مع بداية فترة الانفراج السياسي ملازمة لذاكرة مغاربة ما بعد الاستقلال.

يركز المقال في معظم محاوره على أماكن الذاكرة بجهة درعة تافيلالت باعتبارها الجهة التي نالت النصيب الأكبر من مراكز الاعتقال التعسفي بتاريخ المغرب الراهن؛ مثل معتقل أكدز وتاكونيت وتازممارت ومركز الاعتقال قرب سد المنصور الذهبي، فضلا على معتقل قلعة مكونة...، وقد تمّ تخصيص الجزء الأخير من المقال للنبش في الذاكرة الجماعية لسكان مدينة قلعة مكونة حول المعتقل الذي كان يوجد بمنطقتهم، وذلك اعتماداً على مجموعة من الشهادات التي استقيناها من داخل مدينة الورود.

الكلمات المفتاحية: التاريخ الراهن- أماكن الذاكرة- الذاكرة الجماعية- مراكز الاعتقال التعسفي- ذاكرة السجين- المجتمع المدني- السجون السرية- سنوات الرصاص- ذاكرة المكان - المعتقل.

Abstract: *This article, which is entitled as "Memory places in Morocco, Arbitrary detention centres in Drâa-Tafilalet region as a case study", aims at showing the relationship that links collective memory to places. This relationship sometimes takes symbolic dimensions that exceed enormously the material physical place; especially when this place evokes a tragic historical load like the one arbitrary detention centres left behind during the Years-of-lead, which Morocco witnessed after independence (1961-1999).*

In this respect; the article, in most of its parts, focuses on memory places in Drâa-Tafilalet region as this region got the biggest share of arbitrary detention centres in Moroccan contemporary history. These arbitrary detention centres were Agdz, Tagounite, Tazmamart and Kalaat M'Gouna. The last part of the article is left for 'digging' into the collective memory of Kalaat M'Gouna's people concerning the detention centre used to be in the area, relying on a collection of testimonies drawn from inside the town of roses.

Keywords: Memory places- collective memory- Arbitrary detention centers- Years-of-lead- The prisoner's memory- Civil society- Secret prisons- The detainee.

تقديم: تقترن الذكرة الجماعية لبلد أو لشعب ما بما تناقلته أجياله من وقائع تاريخية بصمت تاريخه الراهن أو القريب، تلك الذاكرة المشتركة التي لا يقتصر اشتغالها على أحداث بعينها، بل يتعداه إلى الأماكن والفضاءات التي جرت فيها، وحيث يستحيل الحديث عن فعل اجتماعي تاريخي دون العودة إلى زمن وقوعه، تلك العودة تحيل على المكان أو الفضاء الذي جرى فيه الحدث، والذي يشكل حلقة الوصل بين وقائع الماضي وبين حاضر الذاكرة الجماعية لمجموعة أو مجتمع ما؛ فغالباً ما يتولد على ارتياد أماكن وفضاءات معينة صيرورة استرجاع واسترداد الماضي، تعمل وفقها الذاكرة الجماعية.

وكثيراً ما يلفت انتباه الباحث في الذاكرة الجماعية لمجموعة إنسانية معينة، توقفها على أماكن دون غيرها، اكتسبت مع توالي السنوات صبغة تاريخية، تحولت على إثرها من إطارات فيزيائية جافة ومجردة، إلى فضاءات رمزية تحمل بين طياتها هوية تاريخية، تترسخ معالمها عبر الزمن في ذاكرة الأفراد والجماعات؛ فالساحات والشوارع والأزقة ومنازل المناضلين وغيرها، تتحول إلى فضاءات ومواقع تاريخية، بمجرد ما تطبع في

الذاكرة الجماعية عن طريق الأحداث التاريخية؛ فتصبح بهذا المعنى جزءاً لا يتجزأ من تلك الذاكرة، وهو ما يصطلح عليه بـ"أماكن الذاكرة" (Les lieux de mémoire) .

من هنا فإن الحياة الجماعية للشعوب والامم تزخر بوقائع تاريخية طبعت مسارات تحولها وتطورها؛ فالانتصارات والانتكاسات والانتفاضات والصراعات الاجتماعية والسياسية وغيرها تصبح المادة الخام للذاكرة الاجتماعية، والذاكرة الاجتماعية بالمغرب لا زالت هي الأخرى تحتفظ على العديد من الوقائع التاريخية التي كانت عدداً من المواقع مسرحاً لها، إلى الحد الذي تصبح معه تلك المواقع أماكن للذاكرة، وحيث إن الحديث عن مغرب بعيد الاستقلال حديث عن الصراعات والمواجهات السياسية والاجتماعية التي ميزت العقود الثلاثة التي تلت الاستقلال، فيما أصبح يعرف بعدها بسنوات الجمر والرصاص؛ فإن ذلك يجرنا إلى الحديث عن أماكن الذاكرة التي نشأت بتزامن مع ما يميز تلك الفترة من احتقان اجتماعي وسياسي، وهنا يتعلق الأمر بمراكز الاعتقال التعسفي التي ستصبح مع بداية فترة الانفراج السياسي ملازمة لذاكرة مغاربة ما بعد الاستقلال.

سنركز في هذا المقال على أماكن الذاكرة بجهة درعة تافيلالت باعتبارها الجهة التي نالت النصيب الأكبر لمراكز الاعتقال التعسفي بتاريخ المغرب الراهن، محاولين تسليط الضوء أكثر على مركز الاعتقال بقلعة مكونة، واستجلاء الذاكرة الجماعية لسكان المنطقة حول هذا المعتقل، اعتماداً على شهادات مختلفة استقيناها من عين المكان.

1- أماكن الذاكرة... جدلية المجتمع والمجال:

1-1 البعد الرمزي للمكان: إن الفضاء الفيزيائي يكتسي أهمية بالغة في تحديد الروابط التي تميز الفعل الاجتماعي لمجموعة إنسانية اقتسم أفرادها- في زمن ما- أجزاءً من ذاكرة الفضاء، بهذا المعنى يتحول المكان من فضاء فيزيائي مجرد إلى مجال يحمل بين أرجائه ثقافة تميزه عن غيره من الفضاءات الأخرى، وتبعاً لذلك تتسرب الثقافة داخل الفضاء لتسبغه بهوية تميز الأفراد والجماعات، تلك الهوية التي تراكمت مع توالي الأحداث التاريخية وعبر تواتر الزمن، وفي هذا الصدد يقول "جيروم مونيي": إن الفضاءات تكتسي بعداً رمزياً، إذ تحمل أشياء أخرى ودلالات اجتماعية إلى جانب كونها مادية[1]، وعلى

العموم فالبعد الرمزي للمكان يسهم في تحديد الهوية، وبالتالي يمكن أن يؤثر في تشكيل المجموعة البشرية.

وحيث يستحيل تشكيل علاقات اجتماعية إلا داخل فضاء يحتويها كما كان يرى هالفاكس[2]، وبالمثل فإن أي فضاء لن يصير مجالاً رمزياً إلا من خلال فعل اجتماعي يصاغ بين أركانه، فعل اجتماعي لا يشكل استرجاعه عبر الزمن إلا هوية تقتسمها المجموعة فيما بينها، وثقافة تعبر عن فاعليتها وكينونتها، إذن يظهر المشهد أو المجال الجغرافي كنظام ذي دلالة، يُظهر القيم التي من خلالها ينظم مجتمع ما يمكن قراءته كنصوص[3] توضح معتقدات الجماعات وموروثها المشترك، ويرتقي المكان على إثر ذلك، وعبر الذاكرة الجماعية من مجرد مكان صامت جاف إلى وعاء يفيض رموزاً.

2-1 الانتاج الرسمي لرمزية المكان: في جميع أنحاء العالم، تكرس الحكومات والمؤسسات التابعة لها حصة من سلطتها وصلاحياتها لتهيئ الفضاءات الرمزية، التي تتمثل مهمتها الأساسية في تحديد وإنشاء المجموعة التي من شأنها أن تضفي الشرعية على السلطات والمؤسسات، في هذا الصدد يؤكد جيروم مونيي أنه في القرن التاسع تعاظم الاهتمام بالإنتاج المتسارع لرمزية المواطنة من خلال البنايات والمعالم التي ترفع وتحيل على قيم المواطنة والمسؤولية الاجتماعية المتجسدة في تماثيل ورموز مثل العدالة والحرية والاستقلال أو الأبطال، وقد أخذ تدخل تلك الحكومات في إنتاج الفضاءات الرمزية على ثلاثة مستويات:

- إنشاء مدن جديدة.
- تعريف مساحات عامة لاسيما من خلال الساحات والشوارع الكبرى.
- إقامة وتشييد المباني الكبيرة والضخمة والقصور والكنائس[4].

هكذا فإن إنتاج الفضاءات الاجتماعية هو استمرار لرهان الدولة في تحصين تاريخها الرسمي، من خلال توظيف التاريخ والذاكرة لأغراض سياسية، لأنها تشكل تلك الذاكرة الرسمية التي تجتهد الدولة في ترويجها داخل الفضاء العام الذي تتجاذبه ذاكرات متعددة، تسعى كل واحدة منها للارتقاء داخل سوق التبادلات الرمزية، وحيث إنه في الحالة المغربية يظل الحديث عن تنافس الذاكرة متعذراً، بحيث نجد تهميش ذاكرات وطمس أخرى، مقابل ترويج أخرى، وبالتالي فعبر ما يسميه لويس ألتوسير بالجهاز

الإيديولوجي، يتم نشر ذاكرة رسمية للمكان من خلال المؤسسات التعليمية ووسائل الاعلام، وتبعاً لذلك تطرح تسمية بعض الفضاءات العمومية جدالاً واسعاً بين مختلف الفاعلين: دولة ومجتمعاً مدنياً وأحزابا سياسية، ومرد ذلك ما قد يطرحه قرار تسمية فضاء ما من حساسيات مجتمعية بين الأطراف، بخاصة إذا علمنا أن ما يمكن طرحه من اقتراحات لن تكون سوى رموزاً تاريخية لهذا الفاعل أو ذاك، صحيح أن الدولة مالكة وسائل الإكراه تفرض ذاكرتها الرسمية في تدبير الفضاءات الرمزية، والدليل على ذلك إطلاق تسميات على شوارع ومؤسسات ومساجد وأحياء وملاعب رياضية، وبشكل هرمي يتناسب مع أيديولوجيتها، بمعنى آخر فإننا لا يمكن أن نجد اسم شارع تعبره آلاف السيارات قد سمي باسم لا يعكس صورة الدولة الرمزية، ويكرس شرعيتها التاريخية.

3-1 أماكن الذاكرة ورهانات المجتمع المدني: لما كانت الذاكرة مرجعية أساسية للماضي وفهم واقعه وحيثياته[5]؛ فإن التحدي الذي تطرحه يرتبط بشكل أساسي بمسألة استثمار الماضي من طرف ذاكرات متنافسة ومتضاربة ذات طابع إنساني[6]، بشكل يصبح الماضي يكتسح الحاضر على حد تعبير هيلان والنبورن (Hélène Wallenborn)، على اعتبار أن الذاكرة رؤية تربط الماضي بالحاضر، كما يذهب إلى ذلك بول ريكور (Paul Ricœur)، وتبعاً لذلك قد لا تنفصل عن حاضرها بحيث تمارس عليه فعلاً انتقائياً أثناء استعادته، لسبب أنها توجد تحت وصاية سياسية أو دينية[7]، توجهها وتضيق حدود مصداقيتها بشكل يزعج الكتابة التاريخية الساعية إلى فرز الذاتي عن الموضوعي، والسياسي عن التاريخي، وهو ما يفرض على المؤرخ التمكن من مستلزمات البحث الحذر خلال مخاطبة الذاكرة، وتجميع شذراتها؛ فهي ليست ديمومة بل إنها شذرات[8] ممن عاينوا الحدث أو عاشوه.

وإذا كان التاريخ ليس حكراً على المؤرخين؛ فقد ظهر الزجّ بالماضي بوقائعه وصوره ورموزه في حاضر الأفراد والجماعات، وتجاوز الأمر ذلك إلى توظيفه خدمة لقضايا مختلفة برزت خلالها الذاكرة كحقل يشهد في السنين الأخيرة تعاظم دور المجتمع المدني، الذي أصبح أحياناً يزاحم المؤرخين في مقاربة الماضي والكشف عن حقائقه، في نفس المجال؛ فالمجتمع المدني أصبح هو الآخر يطالب بمساحة أكبر في تدبير "الماضي ويصر على الإسهام في كتابته وإعادة كتابته، وتبعاً لذلك تراهن التنظيمات الجمعوية على الإدلاء

بدلوها في مجال تدبير الفضاءات العمومية، وبخاصة تلك التي تشكل مجالات تسبح فيها الذاكرة الجماعية للمجتمع المدني، وصور ذلك التاريخ الذي أسهم هذا الأخير في تشكيله.

ففي المغرب مثلاً، أصبحت جمعيات المجتمع المدني ("جمعية 20 يونيو 1981" مثلاً) تلح على ضرورة إشراكها في مشاريع حفظ الذاكرة، وضمان عدم تكرار انتهاكات حقوق الانسان (التي أعقبت أحداث 20 يونيو بالدار البيضاء)، أما محلياً فيبرز دور عدد من الجمعيات التي ظهرت في السنوات الأخيرة، ونذكر من بينها جمعية "**آمال دادس**" التي تنظم عدة لقاءات وندوات حول تاريخ المنطقة[9]، كان من بينها ندوة تحت عنوان "جبر الضرر الجماعي وآفاق التنمية المحلية" سنة 2011؛ تطرق فيها المشاركون إلى إشكالية التنمية المحلية التي عانت من "التهميش" نتيجة ارتباط تاريخها الراهن بالمعتقل الذي يؤثر على حاضر المنطقة، وقد برزت دعوات فعاليات محلية لتحويل المعتقل/الذاكرة إلى مركز ثقافي تحفظ المنطقة من خلالها ذاكرتها الجماعية.

2- أماكن الذاكرة في مغرب ما بعد الاستقلال... مراكز الاعتقال نموذجاً:

2-1 أماكن الذاكرة في المغرب، محاولة للتحديد: يتعذر على كل متفائل الإحاطة بأماكن الذاكرة الجماعية سواءً بالمغرب أو غيره من بقاع العالم، ليس لأنها تتسم بتعددها وتنوعها عبر الزمان والمكان فحسب، بل لأن أماكن الذاكرة نفسها لا تحمل نفس الدلالة التاريخية والرمزية المجتمعية، دون إسباغها بتلك المعاني المشتركة التي تشكل الصورة المحددة اجتماعياً، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على إشكالية تأطير أماكن الذاكرة، وهو ما يفرز مجالاً واحداً يجسده الوطن، ولكن يتسم بتعدد أماكن الذاكرة وتنوعها، وتبعاً لذلك فعملية إنتاج أماكن الذاكرة بين صفوف الفاعلين الاجتماعيين يعكس بشكل أو بآخر اختلافاتهم ورهاناتهم وخصوصية كل واحد منهم؛ فقد تكون الساحة أو الشارع أو السوق أو مقر الحزب... أماكن ذاكرة عند فعاليات المجتمع المدني أو عند فئة مهنية أو سياسية، وقد لا تحمل أية دلالة عند السلطة أو فاعلين آخرين داخل الفضاء العام.

2-2 مراكز الاعتقال التعسفي بجهة درعة- تافيلالت:

أ- **معتقل أكدز:** بدأ العمل بمركز الاعتقال بأكدز منذ يناير 1976، وهو التاريخ الذي يوافق نقل المجموعة المعتقلة إليه على إثر أحداث مارس 1973 إلى غاية 1982،

والمعتقل- الذي هو عبارة عن قصر من قصور الباشا الكلاوي- شُيد على شكل قصبة يحيط بها سور وأبراج عالية، ويقع وسط واحة في بلدة أكدز.

وقد ضم المعتقل المجموعات التالية[10]:

- مجموعة معتقلي أحداث مارس 1973 الذين نقلوا إليه من مركز الاحتجاز بتاكونيت في شهر يناير 1976، باستثناء موحا أولهاوس وزايد ألعبود اللذين توفيا أثناء فترة احتجازهم بتاكونيت، وقد استمر احتجازهم إلى غاية غشت 1977، توفي منهم خلال فترة الاحتجاز خمسة أشخاص.

- مجموعة المعتقلين الصحراويين الذين نقلوا إليه في فبراير 1976، وبلغ عددهم 110 أشخاص، كما ضم المعتقل أيضاً ست نساء محتجزات.

- مجموعة بنو هاشم: وتتكون من خمسة تلاميذ على رأسهم عبد الناصر بنو هاشم، وعبد الرحمان قونسي، ومحمد الرحوي (المعروف بالصحراوي)، ومولاي ادريس الحريزي، ومحمد نضراني، وقد نقل هؤلاء التلاميذ إلى المركز في 5 غشت 1977، وبعد أن قضوا مدة في الجناح الخاص بالمحتجزين المنحدرين من الأقاليم الجنوبية، تم إلحاقهم بمجموعة أحداث 1973م[11].

ب- معتقل تاكونيت[12]: في أقصى الجنوب الشرقي، تمتد بلدة تاكونيت المعروفة بقساوة طبيعتها؛ المتمثلة في ارتفاع درجة الحرارة صيفاً، وانخفاضها الشديد شتاءً، وهذا المركز هو الآخر في الأصل دار للكلاوي، استعمله الجيش الفرنسي وجيش التحرير ثم الجيش الملكي خلال حرب الرمال، ضمّ المعتقل مجموعة الدار البيضاء التي بلغ عددها 215 شخصاً، اعتقلوا ما بين دجنبر 1971 إلى بداية مارس 1972، إبان احتضان المغرب لقمة المؤتمر الإسلامي، دامت مدة استغلال المعتقل ما يناهز 28 شهراً، بالإضافة إلى مجموعة ثانية تتكون من 14 شخصاً: 13 رجلاً وامرأة واحدة؛ تم احتجازهم في أحداث مارس 1973، وتضم فاطمة أحرفو وعرجاوي موحى وزايد جلوق وأيت زايد موحى...، تمّ احتجازهم بمدن الرشيدية وكلميمة وتنغير... ما بين ماي 1974 وبناير 1976، تاريخ نقلهم إلى أكدز.

تضم الزوايا الأربعة لمعتقل تاكونيت- الذي بني على شكل مربع- برجاً للمراقبة تتوزع بينها الطرق الرئيسية، وتتجلى خصوصية المعتقل في أنه كان يضم حجرات صغيرة

تحت أرضية، كانت تستعمل أيضاً لأجل الاحتجاز والطبخ؛ حيث يلاحظ أن إحدى الحجرات يعلو سقفها السواد، وتوجد خلفها قاعة صغيرة مساحتها 22 متر مربع، بها كتابات على الجدران تؤشر على كونها كانت تأوي معتقلين، وربما كانت تستعمل للعقاب والعزل.

يتكون المعتقل من جناحين؛ الأول وهو عبارة عن بناية محادية للمعتقل الرئيسي، أصغر وأقل جودة من حيث مواد وطريقة البناء، حالتها جد متردية، هذا الجناح الخلفي يتم الولوج إليه من باب صغير يوجد عند نهاية جدار المركز من الجهة اليسرى، ويتكون هذا الجناح أيضاً من فناء صغير وقاعات صغيرة في إحدى زواياها ممر ضيق (باب) لا يمكن دخوله إلا في وضعية القرفصاء، يؤدي إلى غرفة صغيرة لا تتجاوز مساحتها مترين مربعين، في جدارها أربعة ثقب كبيرة من الجانبين، أما الجناح الثاني فيتم ولوجه من مدخل صغير عبارة عن ثقب في الجدار يحتوي غرفاً صغيرة، قد تكون استعملت لأغراض عزل المعتقلين، أو لإقامة بعض الحراس، ويوجد الجناح الثالث داخل سور مستقل يتم الولوج إليه من ساحة المعتقل المقابل لباب الجناح الثاني، وتوجد به بئر كان يستعملها السكان، أقيمت به بناية تحت أرضية تقريباً، تبدو حديثة نسبياً بالقياس إلى الأجنحة.

ج- مركز الاحتجاز بكرامة: يوجد هذا المركز ببلدة كرامة بإقليم ميدلت، وقد احتجز فيه ثلاثة معتقلين صحراويين ينتمون إلى الأقاليم الجنوبية، وهم الداهم فضيلي سيدي أحمد وخلوق محمد السالم ونفعي برديسي، والذين فور وصولهم في 21 يناير 1988 تم وضعهم في مكان منعزل في القيادة عن المكاتب الإدارية، قبل أن يتم بناء زنازين انفرادية لتوزيعهم عليها[13].

قيادة كرامة التي توجد عند المدخل الرئيسي للمدينة، تتكون من جناحين مستقلين؛ يضم الجناح الأول المدخل الرئيسي للقيادة والمكاتب الإدارية، أما الجناح الثاني الذي يوجد فيه مركز الإعتقال فيقع خلف الجناح الأول، ويضم بنايات مهترئة يستعمل جزء منها لتجميع أدوات الحفر وحمل التراب، ويوجد بجوار أحد أبراج مقر سكنى القائد، وقد تم وضع المحتجزين في غرفة طولها أربعة أمتار ونصف، وعرضها متر و80 سنتمتراً وعلوها متران ونصف، قبل أن تبنى زنازين انفرادية تأوي المعتقلين الثلاثة،

يبلغ طول كل واحدة منها مترين و30 سنتمتراً وعرضها متر و17 سنتمتر وعلوها مترين و44 سنتمتراً.

د- مركز الاعتقال قرب سد المنصور الذهبي: بإقليم ورزازات، وبالضبط بمركز الحراسة سد المنصور الذهبي، تم تخصيص جزء منه لاحتجاز ثلاثة معتقلين وهم: محمد بن أحمد عيان المراكشي، الذي توفي فيه ودفنه الحارس المكلف بمكان مجاور للسد، ومحمد البهلول علي بن عمر، وشخص يدعى "العلوي"، ويوجد هذا المركز في البناية المخصصة للحراس، ويتكون من أربع زنازين ضيقة ومرفق صحي.

هـ- معتقل تازمامارت: حول هذا المعتقل سال مداد كثير من الأقلام الأدبية والتاريخية والصحفية الوطنية والدولية[14]، ولازال وقع هذا الاسم كبير جداً في الذاكرة الجماعية محلياً ووطنياً، نظراً لما تميز به المعتقل من صور مليئة بالأهوال والفظائع والرعب والرهبة.

بالقرب من قصر تازمامارت- وهو قرية توجد بين ميدلت والرشيدية على بعد 20 كلم من مدينة الريش في اتجاه "كرامة"- يقع هذا المعتقل الجهنمي[15] داخل الثكنة التي كان الجيش الفرنسي قد شيدها بذلك الموقع، عززها "مغاربة الاستقلال" ببنايات خصصت أساساً لاحتجاز العسكريين المحاكمين في إطار المحاولتين الانقلابيتين: الصخيرات في 10 يوليوز 1971، والقنيطرة في 16 غشت 1972 وعددهم 58 محتجزاً، واثنين آخرين مجهولي المصير، وقد استعمل لأغراض الاحتجاز ما بين 8 غشت 1973، و15 شتنبر 1991.

نجا من المعتقل الرهيب فقط 28 شخص، وتوفي 32 آخرين لأسباب مختلفة، ودفن أغلبهم بجانب السور، وكان الحراس يضعون فوق جثمانهم قطعة من صفيح الزنك تغطى بفرشة من الإسمنت قبل ردمها بالتراب بطريقة لا تترك أية معالم خارجية للقبور.

1- المعتقل السري بقلعة مكونة...التجربة السجنية والذاكرة الجماعية:

1-3 لمحة تاريخية عن المعتقل السري بقلعة مكونة: من ثكنة عسكرية صغيرة تنتصب على مرتفع مطل على قلعة مكونة، سيتم تحويلها إلى مركز اعتقال ابتداءً من سنة 1982؛ فالمركز المحاط بأسوار، شيد حسب الطريقة المتبعة محلياً في البناء، وبنيت بداخله ثلاثة

أجنحة، ستضاف إليها لاحقاً خمسة أخرى، هكذا بني الجناحان الرابع والخامس سنة 1982، وأضيف الجناح السادس سنة 1989، أما السابع ففي 1990، وأضيف أخيراً الجناح الثامن سنة 1992، وكل الأجنحة السابقة لا تتوفر إلا على مرحاض واحد، وصنبور ماء واحد، وقد أشار تقرير هيئة الإنصاف والمصالحة إلى أن هذا المركز استعمل لأغراض الاحتجاز والسجن منذ 23 أكتوبر 1980، وهو التاريخ الذي يحيل على عملية ترحيل المعتقلين المحتجزين بأكدز إليه، وقد تم إغلاق المعتقل بعد الإفراج عمّن بقي من المعتقلين على قيد الحياة بتاريخ 12 يونيو 1991، وحسب شهادة أحد المسؤولين الإداريين السابقين فقد بدأت السلطات في استغلال المعتقل بعد العملية السابقة، والتي استعملت فيها شاحنات محروسة من طرف الدرك الملكي، ويرجح أن السلطات لجأت إلى ذلك بعد تسرب أخبار عن وجود أشخاص معتقلين بمركز أكدز، ويشير تقرير هيئة الإنصاف والمصالحة إلى أن الاحتجاز تم في زنازين جماعية وانفرادية مبنية من الطين مغطاة بالقصب والتراب، ولا ينفذ إليها الهواء إلا عند فتح الأبواب الحديدية، أما الزنازين الانفرادية التي لا تتجاوز مساحتها متراً مربعاً واحداً بدون نافذة أو مرحاض أو ماء؛ فقد كان يلجأ إليها في حالة إنزال العقاب أو التأديب، وهو ما أفقد عدداً من الضحايا لقدراتهم العقلية، فضلاً عن تدهور الحالة الصحية لبعضهم بعد تفشي بعض الأمراض المزمنة من قبيل الربو والروماتيزم وأمراض الجهاز الهضمي والتناسلي والبولي، مما أدى إلى وفاة ست عشرة ضحية[16].

قضى معظم معتقلي المركز فترة الاحتجاز داخله باستثناء ثلاثة منهم؛ ويتعلق الأمر بمحمد بن عباس المراكشي اللبناني الجنسية والفلسطيني الأصل، ومحمد البهلول علي بن عمر ربان طائرة ليبي، ومغربي يدعى "العلوي" يقال إنه قام بمحاولة خطف طائرة، نقلوا إلى معتقل سد المنصور الذهبي قرب ورزازات، أما بقية المعتقلين- والحديث هنا عن "مجموعة التلاميذ"- فقد أطلق سراح مجموعة منهم بتاريخ 30 دجنبر 1984 والباقي سنة 1991.

وقد خلصت تحقيقات هيئة الإنصاف والمصالحة[17] فيما يخص من قضوا نحبهم في هذا المعتقل إلى النتائج التالية[18]:

ردمد ISSN 2170-1636 EISSN 2600–6324 الإيداع القانوني: 2014- Depot Légal 1156

الاسم	تاريخ الاعتقال	تاريخ الوفاة
سيدي اجدود الخليفة	احتجز سنة 1975 من خيمته	19 يونيو 1989
يحيى الداهي بن محمد الناجم	اختطف من طانطان نهاية 1975 بعد صلاة الصبح من منزله	23 فبراير 1990
ولد الترفاس أحمد بن اسويلم	اعتقل سنة 1976	28 يناير 1981
محمد بودي بن ابراهيم	اعتقل سنة 1976	13 نونبر 1983
ديديه لحبيب أحمد الحسن	بطانطان في 25 يناير 1976	17 أبريل 1986
بولسان السالك ولد عبد الصمد	اختطف من تاوريكت قرب طرفاية	27 ماي 1983
اسليلك السالك	سنة 1976	19 دجنبر 1987
عبد العالي بوسروال بن مجيد	اعتقل سنة 1976	28 مارس 1987
ميلود عبد اللوي	اعتقل على الحدود مع الجزائر	14 يونيو 1986
محمد عدنان	اعتقل في 1976	2 يوليوز.
الناجم بن أحمد لحسن	اعتقل قرب كلميم في فاتح فبراير 1976	4 فبراير 1987
لمديميغ المحجوب بن لعروصي	اعتقل سنة 1976 بأكادير	18 ماي 1986
الونات محمد الحبيب	احتجز سنة 1976 بطانطان	25 يناير 1988
محمد الناجم بن بيدي	اعتقل سنة 1982	19 يونيو 1986
لكوارا سيداتي	تم الاختطاف سنة 1985	25 ماي 1986

المصدر: التقرير الختامي لهيئة الانصاف والمصالحة.

2-3 معتقل قلعة مكونة في الذاكرة الجماعية المحلية: يتحول المكان، مكان الذاكرة إلى صورة مشوّشة، تعتريها صور ناقصة وغير مكتملة أحياناً، ومضطربة أحياناً أخرى، وهو ما يخلف فراغات عدة (des trous) في الذاكرة الجماعية، وهذا الوضع يقودنا إلى طرح التساؤل التالي: هل يتعلق الأمر بنسيان لا إرادي لكل ما يرتبط بالمكان باعتباره سجلا لوقائع الماضي؟ أم أن الأمر يتعدى ذلك إلى ما يمكن نعته بحالة تناسي (Amnésie)؟

نصطدم عند شروعنا في استنطاق الذاكرة المحلية بجوارٍ من مركز الاعتقال قلعة مكونة بالشذرات القليلة والمتناثرة التي تمدنا بها تلك الذاكرة، إلى الحد الذي يدفعنا إلى القول إن المعتقل حاضر- غائب بين طيات الذاكرة المحلية؛ حاضر مادياً وغائب تاريخياً؛ فهو حاضر كثكنة عسكرية ترمز للسلطة/المخزن، بما يحمله ذلك من دلالات بالنسبة للساكنة المحلية من ضرورة الابتعاد عن كل ما له علاقة به، وهو غائب من الطرف

الآخر، غائب تاريخياً، لأننا وحسب مقابلاتنا مع عدد من أفراد مجتمع البحث لا نكاد نلمس وجوداً يذكر للمركز ك "معتقل" في الذاكرة الجماعية المحلية، إذ أكدت عدد من الافادات أنه "لم يكن هناك علم بكون الثكنة العسكرية كانت مركزاً للاعتقال"، ويضيف المستجوَب الأول (58 سنة، مهنته نجار) أنه "تفاجأ عندما شاهد في التلفاز أن "القشلة" كما يسميها الذين يسكنون بجوارها، كانت سجناً زجّ بعدد من الأشخاص داخلها"، ويضيف مستجوَب آخر (50 سنة، سائق سيارة أجرة) "أن السلطات المحلية كانت تمنع منظم عمل سيارات الأجرة (أو ما يعرف ب"الكورتيي") من رفع صوته عندما يصرخ باتجاهات السفر... حتى لا يتسنى- كما فُهم من بعد شيوع أخبار المعتقل- للمعتقلين داخل السجن معرفة المنطقة التي يوجدون فيها"، وهذا ما يفسر ما ذكرناه سابقاً في كون نقل المعتقلين من أكدز إلى هذا المركز كان قد تم في سرية تامة بعدما اكتشف أمر وجود أشخاص معتقلين بمعتقل أكدز.

وقد أكد مستجوب ثالث أنه في عدة مرات لا يتردد الجنود العاملين بالمعتقل (الثكنة العسكرية) في النزول إلى الدوار لاستجلاب الماء، وعندها قد تجود عليهم أيادي القرويين ببعض الأطعمة المحلية (اللبن مثلا)، ويضيف مستجوَب آخر (44 سنة، عامل يومي بالسوق المحلي بمدينة قلعة مكونة) أنه يتذكر في صباه "أن الجنود كانوا ينهرون الأطفال ورعاة الغنم الذين قد يقتربون من أسوار الثكنة...، وفي بعض المرات يندفع الجنود أنفسهم إلى إخراج قطعان الماشية التي تتجاوز الحدود المسموح بها، دون أن يقترب أي أحد من المجتمع المحلي.

3-3 معتقل قلعة مكونة في ذاكرة السجين: إن المتفحص لإنتاجات الذاكرة السجنية في المغرب يلاحظ أن معظمها قد انصبت على مراكز الاحتجاز بتازمامارت[19]، ودرب مولاي الشريف[20] وغيرها، مع غياب شبه كلي لأي عمل من هذا الصنف حول معتقل قلعة مكونة، باستثناء شهادات وردت في جرائد أو تقارير إخبارية أو برامج تلفزيونية[21].

"كان كفن يوجد في إحدى الغرف، يوجد على مرأى من المختطفين... هذا مصيركم، هذا الثوب الذي ستخرجون به من هذا المدفن، يتحدث مولاي إدريس الحريزي أحد معتقلي مركز قلعة مكونة، مولاي إدريس الذي أصبح سائق شاحنة بعد إطلاق سراحه، كما لو أنه أراد أن يعبر عن حبه الشديد للحرية وحقده للحدود والجيران، ويقول في هذا

الصدد: "كنت أكره الحيطان، كان السفر هو وسيلة لإعادة اكتشاف الحياة، من العودة للحياة من جديد لاكتشاف أشياء أخرى غابت عنا في فترة الاختطاف"[22]، تلك الفترة التي عانى فيها المعتقلون من ويلات حصص التعذيب اليومي التي كان يتفنن فيها الحراس، إلى الحد الذي دفع محمد النظراني- أحد المعتقلين- إلى وصف أحد الحراس بـ"الغوريلا"، ويقول: "كان هذا الحارس يدخل ليعطيني الأكل وليضربني، كان هو الاتصال الوحيد بيني وبين العالم، بطبيعة الحال كنت أتمشى هكذا"[23]، بشكل قطري "خطوات مستمرة كي لا تتجمد قدماي، الصيف والشتاء والخريف وسنة ونصف... آه البرد... الذي لا يمكن تصوره هنا... (يشير إلى ركن)، كنت أضع وعاء قضاء الحاجة، كانت لي فرصة واحدة كل صباح لأخرج لأقل من دقيقتين لأفرغ الوعاء خارج الزنزانة، وكنت أخرج لأغسل ملابسي مرة في الشهر، مرة خلعت ملابسي قبل الخروج، قلت هذا أفضل لكسب بعض الوقت لأضعها مباشرة في السطل عند الخروج لغسلها، وهكذا أوفر بعض الوقت... خلعت ملابسي... وعندما دخل السجان سألني: كيف عرفت أن اليوم موعد الغسيل؛ فأجبته أنني كنت أحسب، وهذه الكلمة أثارته فهو لا يريدني أن أعرف موعد الغسيل، لا يريدني أن أعد الأيام، وقال: "كيف تعد الأيام، ممنوع أن تعد الأيام، وانهال علي بالضرب"[24]، ويضيف عن تجربة الاعتقال "كانوا يعطوننا في كل شهر نصف شفرة حلاقة، وكنت أحلق رأسي بيدي والدماء تسيل على وجهي، فقد أوصلونا إلى مستوى... يعني مثل الحيوانات"[25]، ويضيف رفيقه عبد الناصر: "كان هناك تعذيب بدون هدف، كان التعذيب من طرف حراس ساديين..."[26]، وعن التعذيب أيضاً يقول عبد الناصر النظراني: "ضرب أحد الحراس أحد المختطفين بالمجرفة التي يحمل بها التراب ضربة بجزئها الحديدي؛ فجرح جبهته والعظمة التي تحمي العينين، تعفنت المنطقة من وجهه إلى أن توفي..."[27].

خاتمة: يستشف مما سبق أن مراكز الاحتجاز تتيح إمكانيات مهمة لدراسة تاريخ المغرب الراهن، على اعتبار أنها تنسج ضمن الذاكرات الجماعية المختلفة التي تمد الباحث في هذه الحقبة بمعطيات مهمة ومتنوعة لا تتيحها صفحات الكتب، أو بما قد يفرج عنه من وثائق رسمية في هذا المجال.

لكن حفظ تلك الذاكرة الجماعية يتطلب استحضار استراتيجية واضحة المعالم، تتحول فيها مراكز الاعتقال المدروسة إلى أماكن تحتفظ بتلك الذاكرة، وهو ما يتطلب معه الاهتمام بها وترميمها حتى تظل شاهدة على إحدى الفترات الساخنة من تاريخ المغرب الراهن.

بذلك يرتهن تطور البحث التاريخي الراهن بما قد يدشنه من مواضيع جديدة للدراسة، أو حتى بما قد يبدعه البحث من أدوات وتقنيات مستجدة لتجميع المادة التاريخية، تقوم

بالأساس على الاحتكاك المباشر بموضوع البحث من خلال النزول إلى الميدان و"استنطاق معطياته"، وهو ما يتعزز معه تجديد المنهج التاريخي، وفك قيوده الكلاسيكية الضيقة التي ظل هو الآخر محتجزاً داخلها لفترات طويلة.

الهوامش:

1-Jérôme Monnet, «la symbolique des lieux: pour une géographie des relations entre espace, pouvoir et identité», Cybergeo: European Journal of Geography, Politique, Culture, Représentations, article 56, mis en ligne le 07 avril 1998, modifié le 03 mai 2007. URL: http://cybergeo.revues.org/5316. p.3. consulté le 20-04-2017.

2- Maurice Halbwachs, la mémoire collective: un document en version numérique par Mme Lorraine Audy, stagiaire, Et Jean-Marie Tremblay, professeur de sociologie, dans le cadre de la collection: « les classiques des sciences sociales ».

3- مايك كرانغ، الجغرافيا الثقافية، أهمية الجغرافيا في تفسير الظواهر الانسانية، ترجمة سعيد منتاق، عالم المعرفة، العدد 317، يوليوز 2005.

4-Jérome Monnet, «la symbolique des lieux: pour une géographie des relations entre espace, pouvoir et identité », p.7.

5- محمد كنبيب، ضمن تقديم كتاب: التاريخ الحاضر ومهام المؤرخ، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 158، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط، 2009، ص..11

6- Jacques Le Goff, Histoire et mémoire, Gallimard, Paris, 1988, p.82.

7- صالح شكاك، "من المغرب المعاصر إلى المغرب الراهن، إشكاليات الاستمرارية والتحول"، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 158، م.س، ص.58.----8- إبراهيم بوطالب، "الذاكرة والتاريخ"، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي، العدد الاول، 2003، صص5-26.

9 - منطقة قلعة مكونة وبومالن دادس الواقعة جنوب شرق المغرب.----10- التقرير الختامي لهيئة الانصاف والمصالحة، الكتاب الثاني، الحقيقة والمسؤولية عن الانتهاكات، منشورات المجلس الاستشاري لحقوق الانسان، 2005، صص68-78.----11 - نفسه، ص.77.----12 - التقرير الختامي لهيئة الانصاف والمصالحة، صص65-68.----13 - نفسه، صص84-56.

14 - لعبت كريستين السرفاتي (زوجة أبرهام السرفاتي) دورا أساسياً في التعريف بمعتقل تازمامارت على الصعيد الدولي وخصوصاً في فرنسا منذ أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، كما كتب الناجون من المعتقل مجموعة من السير والروايات المستلهمة من يوميات المعاناة داخل الزنازين، ومن أبرزهم أحمد المرزوقي الذي كتب "الزنزانة رقم 10"، ومحمد الرايس الذي ألف "من الصخيرات إلى تازمامارت: تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم"، وكذلك مذكرات الطيار صالح حشاد، كما ألف الطاهر بنجلون رواية بعنوان "تلك العتمة الباهرة" التي استلهم أحداثها من شهادة عزيز بنبين، أحد المعتقلين السابقين في معتقل تازمامارت .----15 - أحمد المرزوقي، الزنزانة رقم 10، الطبعة الاولى، منشورات طارق، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012، ص.84.----16 - التقرير الختامي لهيئة الانصاف والمصالحة، مرجع سابق، صص.83-84.

17 - **هيئة الإنصاف والمصالحة**: هي لجنة تم تنصيبها من طرف الملك محمد السادس في 7 يناير 2004، وذلك من أجل الكشف عن مصير ضحايا الاعتقال التعسفي والاختفاء القسري، أحياء كانوا أم متوفين، إضافة إلى مواصلة تحديد التعويضات للضحايا أو أصحاب الحقوق، والعمل على جبر باقي الأضرار المادية والمعنوية، بما في ذلك تقديم الحلول للمشاكل الصحية والاجتماعية والادارية. وبعد انتهاء مهام هذه الهيئة تم حلها في دجنبر 2005.----18 - دفن جميع الضحايا بمقبرة قلعة مكونة.----19 - كتاب أحمد المرزوقي: تازمامارت، الزنزانة رقم 10. ومحمد الرايس: من الصخيرات إلى تازمامارت، تذكرة ذهاب وإياب إلى الجحيم.----20 - كتاب جواد مديدش: درب مولاي الشريف، الغرفة السوداء.----21 - من قبيل برنامج "يحكى أن" الذي كان يبث على قناة الجزيرة.----22 - الإفادات المقدمة مأخوذة من برنامج "يحكى أن" لأسعد طه، موقع الجزيرة الالكتروني www.aljazeera.net. تم الاطلاع بتاريخ: 15-01-2016.----23 - برنامج "يحكى أن" لأسعد طه، مرجع سابق.----24 - نفسه.----25 - نفسه.----26 - نفسه.----27- نفسه.